الفصل الثالث

علاقة أسواق فاس بالأسواق الخارجية

١- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأقصى

٢- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأوسط

٣- أسواق فاس وأسواق مدن المغرب الأدنى

٤- أسواق فاس وأسواق مدن مصر والحجاز

٥- أسواق فاس وأسواق مدن الأندلس والدول النصرانية

٦- أسواق فاس وأسواق مدن السودان الغربي

obeikandl.com

ارتبطت أسواق مدينة فاس بالأسواق الخارجية ارتباطا وثيقا منذ بداية الحكم المريني ، ساعد على ذلك حرص سلاطين بنو مرين على توطيد صلاتهم السياسية مع الدول المعاصرة . فنشطت السفارات المرينية مع دول المغرب الأوسط و الأدنى والأقصى والأندلس ومصر والسودان الغربي والدول النصرانية (قشتالة وميورقة وفرنسا) ، وقد أسهمت هذه السفارات في دعم العلاقات التجارية بين فاس وبين سائراسواق هذه الدول المعاصرة.

كما تدعمت العلاقات التجارية بين أسواق فاس وغيرها بفضل جهود سلاطين الدولة المرينية الذين قاموا بتوفير الأمن والاستقرار للطرق البرية والنهرية والبحرية ، وبفضل هذه الجهود قضوا على القرصنة التي تتعرض للقوافل التجارية سواء بالبر أو النهر والبحر، كما حفروا الآبار على هذه الطرق مما ساعد على قيام شبكة تجارية آمنة كان لها الأثر الأكبر في ازدهار أسواق مدينة فاس ، وجعلها تنبض بالحياة التجارية باستمرار . وقد ساعدت هذه الروابط التجارية على وصول أهم السلع التي يحتاج إليها سكان هذه المدينة فى حياتهم كالذهب والرقيق والنحاس وغيرها من السلع التي جعلت من أسواق فاس الأهم بين أسواق مدن المغرب الأقصى .

وسوف نعرض في هذا الفصل العلاقة بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، وأسواق فاس والمغرب الأوسط ، وأسواق فاس والمغرب الأدنى وأسواق فاس وأسواق كل من مصر والسودان الغربي والاندلس ، وأهم السلع التي كان يتم تبادلها بين هذه الأسواق .

١-أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى

فرض المرينيون سيطرتهم على سائر المغرب الأقصى[*]عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مما ساعد على التواصل التجارى بين أسواق المغرب الأقصى وأسواق مدينة فاس أعان على ذلك موقع هذه المدينة. فقد احتلت مدينة فاس موقعا استراتيجيا بفضل وقوعها عند ملتقى طريقين رئيسيين أولهما يبدأ عند شواطىء البحر المتوسط عبر طنجة وسبتة وباديس القديمة ويمتد عبرالصحراء مجتازا سهل سايس بمدينة فاس ، وسلسلة الأطلس الأوسط والكبير ثم يسير محاذيا لوادى زيز الى واحة تافيلالت . والطريق الثانى يبدأ من المحيط الأطلسي متجها إلى المغرب الأوسط ، وتقع فاس عند تقاطع هذين الطريقين الرئيسيين .[١]

لقد أتاح سهل فاس الذى يدعى سهل السايس فرصة كبيرة لمدينة فاس لزراعة كميات كبيرة من المحاصيل والفواكة ، فكان يزرع بمساحات كبيرة من الحبوب والفاكهة فساعد ذلك على وفرة الانتاج الزراعى بأسواق فاس فأعطى للمدينة فرصة للاتصال بالمحيط الأطلسي وموانيه مثل المعمورة والعرائش .[٢]

وقد ربطت الطرق التجارية بين أسواق فاس وأسواق المغرب الأقصى ، فالطريق من مدينة سبته لمدينة فاس يستغرق ستة أيام كما يذكر البكرى ، ويحددها ياقوت الحموى والعمرى بعشرة ايام ، ومن خلال سبتة ارتبطت فاس بمدن الشمال الغربى.[٣] فوجد طريق من مدينة سبتة إلى فاس وطريق بين فاس وسلا يقدر بأربع مراحل .[٤]

---

*المغرب الأقصى : وهو يمتد من وادي ملوية شرقا حتى مدينة اسفى على المحيط الاطلسى غربا وجبال درن جلوبا وحدوده الشمالية فهي البحر الرومي (البحر المتوسط) للمزيد انظر ابن خلدون:مصدر سابق جـ٦ ، ص ١٠٠، ابن الفقية : مختصر كتاب البلدان ، طبع مدينة ليدن ابريل ، ١٣٠٢هـ ، ص ٨١ ، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٦، ص ١٣ .

[١] ماجدة كريمي: العلاقات التجارية ، ص ١٧١ .

[٢] ابن الخطيب: نفاضة الجراب ، ص٣٢٧ ، الوزان: مصدر سابق ، جـ١ ، ص ١٦٥ ، المقري: مصدر سابق، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ ، مارمول: مصدر سابق جـ١ ، ص ٤٨٩ ، المنونى: ورقات ، ١٤٩ .

[٣] البكري : مصدر سابق ، ص١١٥ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ٣ ، ص ١٨٣ .العمري : مصدر سابق ، ص ١١٤ .

[٤] ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ١٠ ، ص ٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣ .

تعد مدينة سبتة بحكم موقعها محطة للسفر والتجار فأصبحت مركزا لتصريف السلع التى يجلبها التجار من جميع الأقطار.[1] كما تعد هذه المدينة أيضا الرئة التي يتنفس بها المغرب الأقصى ومحطة تربط بين إفريقيا وأوربا لهذا نجد سفن نابولى وجنوة ومرسليا محملة بمختلف السلع تتقاطر على ميناء سبته ذهابا وإيابا . [2]

هكذا مدينة سبتة بفضل موقعها ارتبطت بشبكة من المراسى الساحلية ، ساعدت بالطبع على الاتصال بكل مدن الشمال الغربى من طنجة إلى الريف وسواحله .كما كانت لها خطوط اتصال عديدة مع أقطار البحر المتوسط الواقعة شمالا وخاصة الأندلس والمدن الواقعة جنوب هذا البحر.[3] وبهذا الأمر ساعد الطريق الذى يربط بين فاس وسبتة فى اتصال المدينة الأولى بالمدن الساحلية الواقعة على البحر المتوسط بالاضافة الى الاندلس .

ومن مدينة سبتة يأتى إلى أسواق فاس التين والذى لم يكن نوعا واحداً ولكنه ثمانية وعشرين نوعا ، بالإضافة إلى الكروم والسكر والعطور ومعدن الكبريت ، والكبوط الكتانى الذى ياتى بكثرة لاسواق مدينة فاس . [4]

ويأتي من سبته العنب وهو نوعان واللوز أربعة أنواع من أحدهما المر، والزيتون ثلاثة أنواع والتوت نوعان أبيض وأسود والقراصيا ثلاثة أنواع فهي كانت محط القوافل التجارية. [5]

---

[1] الدمشقي : : نخبة الدهر فى عجاب البر والبحر ، تحقيق ميكائيل بن يحيـــى ، المانيـــا ، ١٩٢٣، ص ٢٣٥ ، العمري : مصدر سابق ، ص ٩١ ، أمين الطيبى : مرجع سابق ، ص ١٧٠.

[2] ماجدة كريمى : مرجع سابق ، ص ١٦٦ ، أمين الطيبى : النشاط الاقتصادي العلمي بمدينة سبته المغربيـــة القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي ، ص ١٧٠ .

[3] حسين مراد : القاضي عياض (دراسة فى النشاة والتكوين العلمى) مجلة الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، العدد ٢٦ ، سنة ٢٠٠٤ ، ص ١٦ .

[4] السبتى : اختصار الأخبار ، ص ١٤ ، ٩٢ ، المراكشي: المعجب ، ص ٢٤٢ ، العمرى : مصدر سابق ، ص ٩١ ، القلقشندى : مصدر سابق جـــ٥،ص ١٥٧ ، الوزان : مصدر سابق ، جـــ ١ ، ص ٢٤٨ ، مـــارمول: مصدر سابق جـــ٢ ، ص ٢١٥ ، المنونى : ورقات ، ص ١٤٩ .

[5] السبتى : مصدر سابق : ص ٥١، ٥٥، ٧١.

وبفضل موقع سبته البحري عمل الأغلبية من السكان فى الصيد البحرى، وتعددت أنواع الأسماك التي يتم اصطيادها وبلغت نحو مائة نوع ، واشتهرت أيضا باستخراج شجر المرجان وهو من أفضل الأنواع ، وكان يصنع منه خرزا ويصدر إلى أسواق مدينة فاس وسائر الأسواق الأخرى . ويأتى من سبتة إلى فاس قويربات (أواني لطاف) والأدوات النحاسية. [١]ويأتي إلى أسواق فاس العسل من بنى تاودا وقصر عبدالكريم والشمع من الريف. [٢]

وقد توافد تجار فاس إلى كافة أسواق المدن المغربية لبيع سلعهم وجلب سلع يحتاجون اليها ، فتجار مدينة فاس وصلوا إلى مدينة مكناسة وجلبوا منها بالزيتون والعنب . ويذكر ابن الخطيب انتشار زراعات الزيتون والعنب فى مكناسة وتعدد أصناف تلك الزراعات . [٣] لهذا أطلق عليها المؤرخون مكناسة الزيتون وذلك لكثرة الزيتون ، ويكثر بها أيضا الأجاصى والعنب و يوجد منه نوعان الأبيض والأسود. [٤] كان التجار القادمون من فاس يقومون بشراء حب زيتون بحيرة مكناسة بخمسة وثلاثين ألف دينار ، وأمدت مكناسة فاس أيضا بالعنب [٥]

وقد ارتبطت مدينة فاس بالعديد من مدن جنوب المغرب الاقصى ، فكان هناك طريق يبدأ من فاس ويتجه جنوبا إلى مدن أغمات – مراكش – السوس الأقصى – نول لمطة والمسافة بين فاس ومكناسة الزيتون اثنى عشر ميلا ، أو مسيرة يوم كامل وبين فاس وأغمات ثمانية عشر مرحلة. [٦]

---

[١] حسين مراد: مرجع سابق، ص ٢٠.أمين الطيبى : مرجع سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٣ .

[٢] السبتى : اختصار الأخبار ، ص ٩٤ . التادلى : التشوف ، ص ٣٣١ .

[٣] الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٣ .ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤.

[٤] الاستبصار: مصدر سابق ، ص ١٨٧، ابن غازي : مصدر سابق ، ص٥،٧، مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٤٦ ، الوزان مصدر سابق ، جـ١، ص ١٦٩ .

[٥] الوزان : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ، لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ٦٤٠ .

[٦] البكري: مصدر سابق ، ص ١٦١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ،الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٤٤، المراكشي : المعجب ، ص ٣٥٩ ، ابوالفداء : مصدر سابق ، ص ١٣١ .

وطريق أخر من فاس إلى أغمات ومراكش وسجلماسة عبر تارودانت*. [١] وبين فاس ومراكش عشرة أيام ، وبين فاس وأغمات ثمان عشر مرحلة ، وفاس – سجلماسة ثلاثة عشر مرحلة .[٢] وهناك طريق آخر يبدأ من فاس ويتجه إلى سجلماسة مرورا بصفرو ، ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية ومن مدينة فاس الى صفرو مرحلة واحدة.[٣]

تستمد مدينة سجلماسة اهميتها بكونها منطقة انتاج مهمة ووقوعها فى مفترق الطرق التجارية البعيدة المدى فهى تراقب وتغذى تجارة القوافل ، وتعتبر إحدى النهايات الرئيسية لطرق القوافل التجارية الصحراوية.[٤]

ومن مدينة سجلماسة يأتى إلى أسواق فاس سلع عديدة منها الشب الأبيض والحناء والكمون والكرويا والقطن والعنب الذى يمتاز بجودته ، واشتهرت سجلماسة أيضا بأنواع نادرة من التمور أشهرها نوع اسمه إرارة لا يوجد فى أية مكان آخر .[٥] وجد بسجلماسة نوعان من العنب الظلى لأنه يجفف فى الشمس والعنب العذارى والعسلى وهو لا نوى له . ولديهم أفضل أنواع التمر حيث كان يسمى باليرارى .[٦]

---

[١] المراكشي : رسائل موحدية ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٣٥.

* تارودانت : حاضرة بلاد السوس الأقصى، وهى مدينة عامرة وكثيرة الفواكه وتشتهر بزراعة قصب السكر.للمزيد انظر الادريسى: مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ،٢٢٨ .

[٢] ابن حوقل : مصدر سابق ، ص ٩٠ ،، أبو الفداء : مصدر سابق ، ص ١٢٣، العمري : مصدر سابق، ص ١١٤، القلقشندى : مصدر سابق جـ٥ ، ص ١٦٣.

[٣] البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة الصحراوية ، ص ٥٨

[٤] ناصح محمد: جوانب من الحياة ، ص ٤٦٢ . ماى كول : الروايات التاريخية ، ص ٦٢ .

[٥] البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٨ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، الاستبصار: مصدر سابق ، ص ٢٠١ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٠٦ . بان على محمد البياتى: النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (٣-٥هـ /٩-١١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٤ ، ص ٧٧.

[٦] البكري : مصدر سابق ، ص١٤٨ ، ابن الزيات:التشوف ، ص ٣٠٧ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ١٣٥، ٣٠٥ ، القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٥ ، ص١٥٩ .

ومن السلع التى كانت تاتى من سجلماسة لفاس الصوف والذى يسمى باليرارية وهو من اجود انواع الصوف . [١] وبجانب ذلك صدرت سجلماسة النحاس والرصاص والكحل والعنبر والشب . [٢]

وكانت الحناء تأتى من أسواق سجلماسة ودرعة وكان الصناع يستخدمونها فى صباغة المنسوجات بأسواق مدينة فاس ، واستعملتها النساء لتخضيب شعورهن والرجال لتخضيب اللحى، استعملت أيضا كدواء لصداع الرأس . وصدرت سجلماسة أيضا النيلج الذي يكسب المنسوجات لونا ازرقا باهتا .[٣]

وفى صفرو ودرعه تنمو شجرة التالكوت التى استخدمت فى صبغ الجلود ، كما حصلت أسواق فاس على الفضة من قلعة بن تادلة . [٤]

ومن أغمات وماسة يأتى الكروم والتين والأرز ، والأبقار والحبوب والعنبر والسكر واللوز والجوز إلى أسواق فاس فكان التجار الفاسيون يقومون بشراء العنب من ماسة* ويقومون ببيعه للبرتغاليين. [٥]

---

[١] اليعقوبى : كتاب البلدان ، بغداد ١٨٩١ م ، ص ١١٠ ، البكري : مصدر سابق ، ص١١٧ ،١٤٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٤ ، الحميري : نفس المصدر ، ص ٣٠٦ ، العمري مصدر سابق ، ص٢٩٨، الوزان : مصدر سابق جـ٢ ، ص ١٣١.

[٢] القلقشندى: مصدر سابق جـ٥، ١٥٧ ، مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ٨٧ .

[٣] ابن سعيد : كتاب الجغرافيا : ص ١٧٧ ، المراكشي : الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام ، جـ ١ المطبعة الملكية الرباط ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٣ البادسى : المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى التعريف بصلحاء الريفي ، تحقيق سعيد إعراب ، الرباط ١٩٨٢ ، ص ٥٩ ، التادلى : التشوف ، ص ٢٢٥ . محمد الطوبل : الفلاحة المغربية ، ص ١٨٢ .

[٤] الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٥ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .

*ماسة : مدينة صغيرة على البحر تحمل إليها التجارات وهى قريبة من أغمات . للمزيد انظر اليعقوبى : كتاب البلدان ، ص ٣٦٠ .

[٥] ياقوت الحموي: مصدر سابق جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، الادريسى: مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٢٣ ،الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦، ٤٧ ، ٣٣٠ ، التادلى : مصدر سابق ، ص ٤١٣ ، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٩٨، محمد الطوبل: الفلاحة المغربية ، ص ١٦٤ ، ١٦٨ .

ويأتي لأحياء مدينة فاس عنب زالغ وزيتون التغات ومغيلة ويحمل منها أحمالا من الزبيب إلى فاس يومياً . [1] والبرانس المصنوعة فى نول لمطة وهى غالية الثمن ، فالزوج منها يساوى خمسين دينارا وتسمى بالسفارية. [2] واختص تجار نول لمطة بصناعه الجلود وتجارتها وخاصة الدرق اللمطية ، فالجلود والملح من أهم السلع التي كانت تصل أسواق مدينة فاس .[3] فالتجار الفاسيون ظلوا على اتصال وثيق بمدن صفرو ، وتازا ووزان . [4]

أما بالنسبة إلى السوس الأقصى والذي يمتد من جنوب وادى سوس إلى بلاد لمطة ، فالمسافة بين فاس والسوس الأقصى ثلاثين مرحلة ، فكان يصدر الى أسواق مدينة فاس السكر السوسى بالإضافة إلى الشب والنحاس المصبوغ والعاج والأبنوس ودرق اللمط والعبيد المجلوبين من السودان الغربي.[5]

ويصل من السوس إلى أسواق فاس زيت ارجان والعسل والجوز واللوز . [6] والتمر وأشجار النيلة. [7] والثياب السوسية والتي تضم الثياب القطنية والصوفية التى تنسج بمدينة سجلماسة وهى من أجود الأنواع . [8]

---

[1] الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٤٧ ، محمد مزين : فاس وباديتها ، ص ٤٩ ، ٦٣ .

[2] الادريسى : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، السبتى : اختصار الأخبار ، ص ٩٤، الحميري : مصدر سابق ،ص ٥٨٤ ، التادلى : التشوف ، ص ٣٣١، ٣٤٨ .

[3] الادريسى : مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٢٣ ، ابن سعيد: بسط الأرض ، ص ٢٣٤ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٥٨٤ ، الوزان: مصدر سابق جـ ٢، ص ٢٦٣.

[4] الوزان: مصدر سابق، ص ١٦٩ .

[5] الاصطخرى: مصدر سابق ، ص ١٤٦ ، الزهري : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١٧٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ ٦ ، ص ٢٠١ ، التادلى : مصدر سابق ، ص ٣٤٨ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢١١ . الفشتالى نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن القرن الحادي ، نشر هوادس، الرباط ، ص ١٦٠ .حسن حفظى علوي :النشاط التجاري بسجلماسة وعلاقته بمجالها القروي ، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ص ٣٥. محمد الطويل: الفلاحة المغربية، ص١٦٨.

[6] الزهري: مصدر سابق، ص ١١٨ ، ١١٩.ابن الفقيه : مصدر سابق ، ص٨٤ .

[7] الادريسى :مصدر سابق ، ص٣٩ ، الاستبصار :مصدر سابق ، ص ٢١٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

[8] الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٩، بان على محمد : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

وصدرت مراكش السكر، وقد احتوت على أربعين معصرة للسكر ، كما صدرت أيضا زبت الزيتون فكان من أجود وأرخص وأطيب الأنواع .[١]

كانت مدينة فاس تصدر العديد من السلع الهامة لأسواق مدن المغرب الأقصى ، ومنها المنسوجات المطرزة والصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، والبرانس المديونية.[٢] والمصنوعات الحديدية كالسكاكين وركاب الخيول والفخار الفاسى والأدوات والحلي الزجاجية.[٣]

٢-أسواق فاس وأسواق المغرب الأوسط

ارتبطت مدينة فاس بصلات تجارية وثيقة مع العديد من مدن المغرب الأوسط ، وساعد على ذلك وجود شبكة من الطرق التجارية البرية او البحرية . ويوضح لنا الجغرافيون أن المسافة بين تلمسان حاضرة تلك البلاد وفاس تسع مراحل .[٤] فالمسالك من فاس إلى وجدة وتلمسان كانت تمر عبر ممر تازة مما ساعد على ربطهما .[٥]

حكم الزيانيون بتلمسان المغرب الأوسط وهم جزء من زناته من بنى وسين ، من البدو واحتلوا إقليما كبيراً وصل إلى جبال الأوارس ، وعقب الغزوة الهلالية فى القرن الخامس الهجرى كان عليهم أن يهاجروا إلى السهول العليا فى أوران ، ومع غزو الموحدين بدأ حظ بني زيان في الصعود وتعاونوا مع الموحدين .[٦]

---

[١] مجهول : الاستبصار ، ص٢١٠ ، الحميري: مصدر سابق ، ص٥٤١ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١:١٤، ابن سعيد: الجغرافيا ، ص ١٢٥ ، المنونى ورقات ، ص ٣٠٠ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ٢ ، ص١٢٩.

[٢] الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، بان على : مرجع سابق ، ص ٧٧ .

[٣] الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦' الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤.

[٤] الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٦ ، الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ .

[٥] ابن عذارى : مصدر سابق ،ص ١٥٤ ، هوبكنز: النظم الإسلامية في القرون الوسطى ، ص١٧٨ ،١٧٩ .

[٦] حسناء طرابلسى :الزيانيون في تلمسان والحفصيون في تونس ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ضمن كتاب ابن خلدون والبحر المتوسط ، ص ٨٩ .

وفى عام ٦٣٣هـ /١٢٣٢م ورث أبى يحيى بن زيان قيادة جميع فروع الأسرة عن أخيه (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٤٢،١٢٣٢م.عانت تلمسان من الهجمات التي شنها ملوك بنو مرين عليها خلال عهد السلطان أبو يعقوب يوسف المرينى (٦٨١ -٧٠٣هـ /١٢٨٢- ١٣٠٧) وخلال الحملة الخامسة فى عهد السلطان أبى الحسن ٧٣٧هـ / ١٣٣٧ م استولى المرينيون على كل ولايات المملكة ، وفرضوا حصارا على العاصمة وبني السلطان المرينى مدينة أخرى وأطلق عليها تلمسان الجديد . [١] والراجح إن خضوع تلمسان لسلطان بنى مرين شجع على دفع حركة التجارة بين فاس وتلمسان وغير ذلك من مدن المغرب الاوسط .

كان يصل لأسواق مدينة فاس التمر من منطقة بسكرة والزاب بالجنوب الجزائرى وتلمسان ، والعنب المستطيل القبلى البالغ الحلاوة والعنب المستطيل العسلى الذى لايوجد فى أكثره نوى ويستخرج منه الزبيب ، وإلى جانب ذلك الجوز واللوز . [٢]

ومن أهم المدن مدينة بجاية [٣] والتي تم التبادل التجارى والسفارات بينها وبين مدينة فاس، فأهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى الصحراء. [٤] ومن أهم السلع التي تصل من بجاية إلى مدينة فاس الشمع وبجانب الشمع العبيد حيث أنها كانت سوقا هاما للعبيد ، وكان السوق يقع بحومة المذبح ويباع فيها العبيد السود . [٥]

---

[١] ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ص ٢٥٤ ، حسناء طرابلسى : مرجع سابق ، ص ٨٨: ٩٠، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ١٣٩٤ ، ص ٢١.

[٢] البكرى: مصدر سابق ، ص١١٨ ، الادريسى : مصدر سابق ، ص ٤٠، ٤١ ، العبدرى : الرحلة المغربية ، ص ١١ ، ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة جـ٣، ص٦٠، ٦١ ، صالح بعيزيق : بجاية فى العهد الحفصى ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة تونس ١٩٩٥ ، ص ٢١٢.

[٣] بجاية : تقع فوق سطح جبل مطل على البحر المتوسط على خليج مفتوح على البحر ، فأتاح لها ذلك الميناء مكانا لرسوالسفن .للمزيد انظر الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٧٨ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٨١ ، المقري: مصدر سابق ، جـ ١٠، ص ١٢٩.

[٤] الادريسى: مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

[٥] ابن القاضي : درة الحجال في أسماء الرجال ، جـ ٢ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ،١٩٧١ ، ص ١٠١ ، عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ١٨٩.

٤- أسواق فاس وأسواق المغرب الأدنى

قاعدة المغرب الأدنى مدينة تونس [١] وقد قامت الدولة الحفصية [٢] بالمغرب الأدنى واتخذت من مدينة تونس عاصمة ، ويعتبر أبو زكريا الحفصى (٦٢٥-٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٤٩م) أول من أستقل بالإمارة من بني حفص . [٣]

قام تجار مدن المغرب الادنى بتبادل السلع التجارية مع تجار مدينة فاس فمن مدينة قفصة .[٤] تم تصدير الفستق إلى أسواق فاس . أما مدينة جربه [٥] فاشتهرت بالتفاح وصدرته. ومن طبرقة[٦] وصل إلى أسواق فاس العسل والقطران والمرجان، والتين الذي يتميز بكبر حجمه وحلاوة مذاقه . كما تم بيع العمائم السوسية التى كانت تأتى من مدينة قابس إلى أسواق فاس . [٧] ويأتي معدن الكبريت من برقة إلى أسواق مدينة فاس . [٨]

---

[١] الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١١٠ .

[٢] الدولة الحفصية :هي امتداد لدولة بني عبد المؤمن الموحدية ، فكانوا فرعاً من الموحدين وينتسبون إلى الشيخ أبو حفص يحيى بن عمر الهنتاني ، شيخ قبيلة هنتانة أحد بطون مصمودة التى قامت على أكتافها دولة الموحدين فورثت الدولة الحفصية كل ممتلكات الدولة الموحدية فى أفريقية ، للمزيد انظر أبو عبد الله بن الشماع : الأدلة البنية النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المعمورى ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ ، ص ٥٤، ٥٨ .

[٣] محمود إدريس على بك : طرابلس الغرب منذ الهجرة الهلالية الى بداية العهد العثمانى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٠.

[٤] قفصة : مدينة كبيرة كان لها سور عظي من صخر جليل ، ولها أربعة أبواب ويكثر بها العيون والنخيل والزيتون وجميع انواع الفواكة ، وهى اكثر البلاد فستقا .للمزيد انظر البكرى : مصدرسابق ، ص ٤٧ ، الادريسى : مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

[٥] جربه: هي جزيرة في بحر افريقية اقرب بلادها إليها قابس ، وطول جربه ستون ميلا من المغرب إلى المشرق، وهى ذات نخيل وكروم . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٥٨.

[٦] طبرقة : حصن على ساحل البحر وفيها أثار للأول وبنيان عجيب وهى عامرة لكثرة تردد التجار عليها . للمزيد انظر :الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٨٧ .

[٧] الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٣٤ ، البكري: نفسه ، ص ٤١ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٢١، ١٧٦ ، القلقشندى : مصدر سابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٤.

[٨] العمري: مصدر سابق ، ص ٧٩ .

ومن أهم السلع التي كانت تصدر إلى مدينة فاس النباتات العطرية وصناعات البلور والشمع .[١] كما وصلت إلى أسواق مدينة فاس مواد خام كالأصواف والجلود والنحاس والشب والملح والرصاص والمرجان والتمر من بلاد الجريد . [٢] بالإضافة إلى الجلود التى كانت تأتى من غدامس ولجودته اطلق عليه الجلد الغدامسى *. [٣]

ومن أفريقية الفستق والزعفران واللوز والانطاع ، ومن سرت الشب السرتى ومن صفاقس زيت الزيتون فهو من أجود الأنواع ، والصدف الصفاقسى [٤] وهو يستخرج من البحر ويعرف بوبر السمك أو صدف السمك يستعمل فى صنع الثياب الفاخرة . والدمش والبردي وريش النعام والعطور. [٥]

ومن فاس يجلب التجار التوابل والمواد الطبية ، والقمح والعنبر والأنسجة والأقمشة والورق والخشب والأسلحة والمجوهرات والعبيد . [٦]

---

[١] برنشفيك : تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ م ، نقله حمادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، جـ ١ ، طـ ١ ،١٩٨٨ ، ص ٤٥٨.

[٢] القلقشندى : مصدر سابق ، جـ ٧ ، ص ٣٧٦ ، برنشفيك : مرجع سابق ،جـ ٢ ،ص ٤٦٠

*بلاد الجريد : تقع على طرف الصحراء فى أفريقية وسميت بذلك الاسم لكثرة النخيل بها وهى واحات خصيبة كثيرة الفواكه والثمار . للمزيد انظر الاستبصار : مصدر سابق ،ص ١٥٠ .

[٣] البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٢ ، المراكشي: المعجب، ص ٢٤٢.

* غدامس : مدينة قديمة أزليه تقع على نهاية حدود تونس وليبيا في الجنوب ن وهى خصيبة عامرة وأكثر طعام أهلها التمر والكمأة . للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٢٧ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٦، ص ٢٦٨ ..

[٤] الصدف الصفاقسى: هو نوع يستخرج من قصر البحر وهو على شكل جذور البصل وعندما يجف يظهر نوعا من الصوف يمشط ويغزل ويتخذ لحمه لأقمشة ملمسها كالحرير. للمزيد انظر القلقشندى : مصدر سابق،جـ ٥ ، ص ١٠٤ ، ١٤٢.

[٥] البكري: مصدر سابق ، ص ٤٧ المراكشي: مصدر سابق ، ص ٤١١ ، ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ١٥٤ ، أمين الطيبى : جوانب من النشاط ، ص ٢٣٢ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر تونس ٢٠٠١ ص ١١ ؛ محمد إسماعيل : الوزارة فى أفريقية في عهد الدولة الحفصية (٦٢٦ - ٩٨٢هـ/ ١٢٢٧ -١٥٧٤ م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ٢٠٠٩ ، ص ١٩٨.

[٦] برنشفيك: مرجع سابق ، جـ٢ ،ص ٤٦٠ . عاشور بوشامة : مرجع سابق ، ص ٤٠٥ ،٤٠٦ .

٤- أسواق فاس وأسواق مصر والحجاز

ربط الطريق الساحلي للبحر المتوسط بين مدينة الاسكندرية ومدينة فاس ، فالطريق يبدأ من الإسكندرية مرورا ببرقه وطرابلس ، ثم القيروان ومنها إلى صفاقس ومنها للمهدية وسوسة ثم تونس وقسطنطينة ثم بجاية ومنها إلى وهران وتلمسان وصولا إلى مدينة سبته ثم إلى فاس .[١]

وقد تطورت العلاقات بين الدولة المملوكية [٢] والدولة المرينية عن طريق السفارات والمراسلات المتبادلة بين حكام تلك الدولتين ودعم الحج تلك العلاقات .

فمنذ بداية الدولة المرينية فى عهد السلطان أبى يعقوب تم توجيه سفارة عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م كانت محملة بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون (٦٩٣- ٧٤١هـ/١٢٩٣- ١٢٤١م) كان بها أنواعا وأصنافا من الذخائر والخيل والبغال وحمل الهدايا فقية المغرب أبو الحسن التنسى.[٣]

وأرسلت سفارة آخري في ربيع الأول عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ، فأمر السلطان أبو يعقوب بإنتساخ مصحف رائق الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرازات الدرر

---

[١] شوقي عبد القوى حبيب : التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧ م / ٦٤٨-٩٢٢هـ) المجلس الأعلى للثقافة ، سنة٢٠٠٠ ، ص ٦٥ ،٦٧.

[٢] الدولة المملوكية : حكم المماليك مصر والشام ، وانقسموا إلى قسمين مماليك بحرية (٦٤٨-٧٩٢هـ/ ١٢٥٠-١٢٩٠م) وهم الذين اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب وبني لهم قلعة في جزيرة الروضة فعرفوا بالمماليك البحرية، ومماليك الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون إليها. للمزيد انظر محيى الدين بن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، راجعه محمد على النجار، دار الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، سنة ١٩٦١ ، ص ٣٦، ٣٧، المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ٢ ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ١٢٩٤هـ ، ص٢٣٦ .

[٣] ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ١ ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ،ص ١٠٨ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ١٢٥ ، عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسى ، جـ ٢ ص ٢٠١ ، رضوان بن شقرون : من مظاهر العقيدة والسلوك عند المغاربة فى العصر المرينى ، مجلة المناهل ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ ، ص ٨٣ ، عبدالرحمن زكى : بناء القاهرة فى الف عام ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، المكتبة الثقافية ، د.ت ، القاهرة ، ص ٤٣.

والياقوت لصاحب مكة وكان السفير المحمل بالهدايا للسلطان محمد بن قلاوون هو علاء الدين ايدغدى الشهرزورى[1] وكانت الهدايا عبارة عن أربعمائة من الخيل العراب واربعمائة من المطايا .[2]

قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإرسال وفد للسلطان المرينى ابى يعقوب عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦ م ، حمل هدية للسلطان المرينى عبارة عن ثيابا وفيلا وزرافة وحيوانات نادرة .فالسفارات المرينية المصرية ساعدت على التواصل التجارى خلال فترة الحكم المرينى لمدينة فاس .[3]

وقد أوضح لنا ابن مرزوق تفصيليا الهدايا التى أرسلها أبو الحسن إلى السلطان المملوكي " أما الأحجار فمنها الياقوت والزبرجد والزمرد : فمائة وثمانية وعشرون حجر من الدبانى العجيب ".

أما أحجار الزبرجد: فثمانية وعشرون. وأما الجوهر النفيس الفاخر المقدار فثلاثمائة وأربع وستون حبة ".[4] لم تكن هناك أي فواصل بين فاس والقاهرة فالعلاقات ظلت قائمة بين سلاطين المماليك وسلاطين بنى مرين .

ثم توجهت سفارة اخرى من السلطان أبى الحسن المرينى عام ٧٣٨ هـ على أثر فتح مدينة تلمسان عام ٧٣٨هـ /١٣٣٧م ، وقامت حظيت والدة أبى الحسن باصطحاب هدية عظيمة

---

[1] علاء الدين ايدغدى الشهرزورى : وصل المغرب هاربا أيام الملك المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى النجمى (٦٥٨-٦٧٦هـ /١٢٦٠-١٢٧٧م) إلى السلطان يعقوب وبعد وفاة السلطان يعقوب قربه السلطان يوسف وجعله وزيرا له . للمزيد انظر المقريزي : السلوك ، القسم الأول ، جـ٢، ص ٩ .

[2] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، جـ٤ ، ص ٤٦ ، ابن تغردي بردى النجوم الزاهرة جـ٨ ، ص ٢١٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ١٥ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق في العصر المرينى الاول ، دعوة الحق ، العدد ٥ ، السنة ٨ ، مارس ١٩٦٥، ص ٦٣، ٦٤ .عبد الوهاب التازى: مرجع سابق ص٢٢٠.

[3] ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ص ٢٢٧، عبد الهادي التازى: مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢١٤ ؛ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ٢، ص ٧٨

[4] ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص٤٥٢ . محمد المنونى : ورقات ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
Marius (C): Miscellanea Orientalia, variorum Reprints.,London,1973,p45.

للسلطان المملوكى نزل لحملها ثلاثون قطارا من بغال النقل وضمت اربعمائة فرس وسيف من الذهب مرصع ولجم مسقطة بالذهب والفضة ، وثيابا وبرانس ومعاطف مطرزة بخطوط من الذهب ، وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب الصافى والأواني النحاسية ، وجلد لمطى مائتان ومن الجمال سبعمائة ، ومجموعة من الحيوانات الأليفة والصقور، ومجموعة من الأبنوس والعاج ، وقدرت هذه الهدية بما يزيد على مائة الف دينار .[١] فالعلاقة بين محمد الناصر وأبو الحسن المرينى توضح مدى التبادل الاقتصادي القائم بين مصر المملوكية والدولة المرينية .

وكان لقوافل الحج دور كبير فى ربط العلاقات بين المغرب ومصر والحجاز، فقد كانت التجارة الخارجية القائمة بينهم قد حملت كثيراً من المنتجات المرينية لمصر والحجاز وعادت بمنتجات مشرقية .[٢]

فالصناعات المصرية كان لها رواج كبير فى أسواق المغرب وخاصة مدينة فاس ومن أهم الصناعات صناعات المنسوجات الكتانية الرقيقة التي كان يصنع منها الملابس و العمائم ويعمل بها الخمر والأقمشة المطرزة بالذهب والحرير.[٣]

واشتهرت مدينة تنيس بتصدير المنسوجات المعروفة بالبوقلمون ، والإسكندرية الثياب الرفيعة ، وبجانب ذلك صدرت مصر الأواني الخزفية والزجاجية .[١]

---

[١] ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٢، ٤٥٣ ، المقري : مصدر سابق جـــ٦ ، ص١٣٨ ،القلقشندى : صبح الأعشى جـ٧ ، ص ٣٩٢ ،٣٩٣ ، محمد المنونى : ورقات ، ص ١٩٢ ،١٩٣ محمد المنونى : علاقات الغرب بالمشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، مجلة الأبحاث المغربية والأندلسية ، العدد الأول ، تطوان ، سنة ١٩٥٦ ، ص ١٢٠ : ١٢٣ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٨ .جمال احمد طه : دور ميناء الإسكندرية وموانئ دول المغرب الإسلامي في ربط العلاقات المصرية المغربية خلال القرنيين السابع والثامن الهجريين ، جامعة جنوب الوادي ، ص ٣٤ ، ٣٥.

Marius(c); op, cit,p.p, 55:59.

[٢] محمد عيسى الحريري : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ ، لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٥٠

Marius (c) : Miscellanea Orientalia , p. 462

[٣] احمد مختار العبادى : التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد السابع والعشرون ، مدريد ، سنة ١٩٩٥ ، ص ٧١ .ارشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٣٢٦ .

كانت مدينة فاس تصدر عدداً كبيراً من السلع إلى أسواق مصر منها العنبر والبلور الصخرى والنحاس والقطران والذهب، وخامات الحرير والصوف والرقيق والفستق والجوز واللوز والفاكهة والعسل والمواد العطرية وزيت الزيتون والحنطة والسميد.[٢]

٥- أسواق فاس وأسواق الأندلس والدول النصرانية

ازدهرت العلاقات الاقتصادية بين بني مرين والأندلس حيث بدأت الأسواق الأندلسية تنمو وتغزو الأسواق المغربية ، فوصلت الأيدي العاملة والأندلسية وعمل عدد كبير من المرتزقة النصارى [٣] في النشاط التجاري في المغرب أيام الدولة المرينية وكانت مدينة قرطبة مركزا تجاريا مهما فى المال التجارى الأندلسي ، وأصبحت مدينة فاس جزءا من مجال التجارة الأندلسية، حيث وحدت الصلات الاقتصادية بين أسواق مدن الأندلس وأسواق مدينة فاس . [٤]

عمل سلاطين بنو مرين على تأمين التجارة الداخلية والخارجية ، فقام السلطان أبو يوسف ابن يعقوب (٦٥٦-٦٨٥هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦م) بفرض شروط تجارية على سانشو ملك

---

[١] ارشيبالد لويس : مرجع سابق ، ص ٣٢٦ ، نجلاء مصباح : مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،٢٠٠٦، ص ٢٥٠ .

[٢] النويرى: نهاية الأرب ، السفر ١٢ ، ص ٢٠ ،عفيفي محمود : الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٨ . Marius (c): op. cit, p.p55:65.

[٣] المرتزقة النصارى : يرجع وجودهم بالمغرب المرينى بعد سوء تفاهم بينهم وبين حكامهم ، ومنهم قزمان الذي توترت علاقته مع ملك قشتالة الفونس العاشر وانضم هو وخمسين من أصدقائه لخدمة السلطان المرينى أبى يوسف فضمهم فى صفوف جيشه .للمزيد انظر : مصطفى نشاط : الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية . ضمن كتاب الغرب الاسلامى والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة محمد الخامس ، تنسيق محمد حماد، رقم ٤٨ ، ط١ ، سنة١٩٩٥ ، ص ١٢١.

[٤] حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة الإسلامية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥-١٩٦٦ ، ص ١٦٤ ، اوليفيا ريمى كونستبل : التجارة والتجار فى الأندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان ، ص ٣٧ : ٧٦ . Dufourcq: op cit,p371

قشتالة[1] بعد هزيمة جيوشه بمنطقة شريش عام ٦٨٤هـ /١٢٨٥م [2] وقد نصت على عدم الاعتداء على التجار المسلمين بقشتالة ورفع الضرائب عنهم . [3]

ساعدت المعاهدات المبرمة مع الأطراف النصرانية كجنوة والبندقية ومارسليا على نمو أسواق فاس وقيسارتيها ، وتميز هذا العصر بتوثيق الصلات مع فرنسا وأسبانيا فى الميدان التجارى ، بجانب الجمهوريات الإيطالية ، وقد أهدى أحد الجنوبين عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م إلى السلطان أبى يعقوب يوسف شجرة مذهبة تغرد على أغصانها عصافير صناعية بحركات ميكانيكية .[4]

قام السلطان أبو الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) بعقد معاهدتين تجاريتين مع وفد من مملكة ميورقة وأرغون [5] عام٧٣٩هـ /١٣٣٩ م ، ومن خلالهما يسمح لرعايا ميورقة بالتجارة بالمغرب ، وعلى سلطان ميورقة توفير الأمن للتجار المسلمين ، والحد من الحيل التى قامت بها الدول القطالونية بجلب حوالى ٧٠ ك جرام ذهب من المغرب إلى أوربا.[6]

---

[1] قشتالة: تسمى القلاع اطل عليها المسلمون القلاع نظرا لكثرة قلاعها واعتبرها المسلمون إقليما فاصلا بينهم وبين أراضى النصارى الأسبان في الشمال ، ومن مدنها برغش واماية . للمزيد انظر ابن الآبار : الحلة السيراء، ج١ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ،١٩٦٣ ، ص ١٣٥، ١٣٦ .

[2] شريش : من كور شذونة بالأندلس ، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا على مقربة من البحر يكثر بها شجر الكروم وشجر الزيتون والتين . للمزيد الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٤٠ .

[3] ابن أبى زرع : الانيس ، ص٣٥٩ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ، ٤٣٣.

[4] السلاوى: الاستقصا جـ٣ ، ص٧٤ ، إبراهيم حركات : الاقتصاد المرينى ، ص١٣٥ ، عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٧١.

[5] أرغون :هو اسم بلاد غرسية بن شانجة وتشتمل على بلاد ومنازل وأعمال كثيرة ، للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢ .

[6] ابن الحاج : فيض العباب ، ص ١٠٠ ، محمد المنونى : ورقات ، ص١٤٣، عبد الهادي التازى : مرجع سابق، ص ١٩٤ .

ومع بداية حكم أبى عنان المرينى للدولة المرينيية (٧٤٩ -٧٥٩هـ /١٣٤٨-١٣٥٨م) عقد عدد من المعاهدات لضمان الحركة التجارية للمغرب ، حيث عقد صلحا مع ملك أرجون بردرو الرابع مدته أربعة عشر شهراً ، وهو يضمن حرية السفر والمتاجرة لرعايا الدولتين .[١]

أرسل ملك البرتغال وفد إلى السلطان أبى عنان عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٨م ، كما أرسل ملك قشتالة هدية عبارة عن بغال وطلب منه عقد معاهدة صلح ، وأيضا صاحب مورقة طلب الصلح ، وعقد معاهدة مع جنوة للحد من عمليات القرصنة وتحديد نوعية الضرائب المفروضة على التجار الجنوبيين بالموانى المغربية كل ذلك كان له اثره فى التعاملات التجارية .[٢]

وبموجب المعاهدة التجارية التى عقدها السلطان أبو عنان عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٨م مع البيزيين صار وكلاء الشركات الميورقية والقطالونية والجنوية موجدين بمدينة فاس.[٣] أعطت هذه المعاهدات امتيازات كثيرة للدول الأوربية مما أثر على التجارة المرينية .

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الحريرية واحتلت مكانه كبيرة في المجتمع الاندلسى ، ومن أهم هذه المدن التي اشتهرت بالمنسوجات الحريرية المرية[٤]Almeria

---

[١] ابن الحاج: مصدر سابق ، ص ١٠١ ،١٠٢ Los Documents Arabs ,p .205-206

[٢] ابن الحاج: المصدر السابق ،ص ١٠٠ ، محمد المنونى : ورقات ، ص ١٤٣ . عبد الهادي التازى : مرجع سابق، ص ١٨٣. مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ١٥٧٤ Los Documents ;op,p.211.

[٣] عبد العزيز العلوي : علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية فى المغرب المرينى ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، المغرب ، ص ٢٦٧ Dufourcq:cit.p.143

[٤] المرية: المرية هنية مرية ، بحرية برية ، محط التجار ، وبلد الكتان والأعناب والزيتون والرخام ، فهى مدينة كبيرة جنوب شرق الأندلس ، فتعتبر قاعدة الاتصال الاقتصادي بين أوربا والمغرب الأقصى ، بنيت عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م ، على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، وسقطت في يد الأسبان عام ١٤٩٠م/ ٨٩٥ هـ فهي تسمى مريء الدم . للمزيد انظر الادريسى : مصدر سابق ، ص ٥٦٢ ، الحميري : مصدر سابق ، ص٥٣٧،١٨٤،١٨٣ ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٠٠ ، ابن الفدا: تقويم البلدان ، ص ١٨٦ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص ١٩٩.

قرطبة Cordaba لقنت[1] Alcamte واشبيليةSevilla [2] وغرناطة [3] ومالقةMalaga [4] ودلايةDelias[5]

حملت إلى أسواق مدينة فاس عدد كبير من السلع الأندلسية ، حيث اشتهرت الأندلس بإنتاج الرخام والخزف فالرخامة التي وضعت بمسجد القرويين بفاس كانت من الأندلس فكانت تكثر

---

[1] لقنت : هي إحدى مدن الأندلس على الساحل وبينها وبين دانية سبعون ميلا، وهى مدينة صغيرة عامرة وبها فواكه من تين وأعناب وبها سوق ومسجد جامع وقصبة منيعة . للمزيد انظر الحميري : صفة جزيرة العرب ، ص ١١١.

[2] اشبيلية :المدينة المنبسطة ، وهى عامرة ويكثر بها شجر الزيتون والتين ، وأجود أنواع القطن وقصب السكر للمزيد انظر الحميري : مصدر سابق ، ص ١٤ .

[3] غرناطة : معناها الرمانة ، فهي الشعار التاريخي لها تقع في واد عميق ، التين والأعناب والقسطل والجوز، أصبحت عاصمة لبنى الأحمر ، ومن أشهر مساجدها مسجد غرناطة الجامع ، ومن آثارها قصر الحمراء للمزيد انظر ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢١٦ ، ابتسام سالم : مدن لها تاريخ ، سلسلة إصدارات الفلق الالكترونية ،(٢) ص ٧ .

[4] مالقة : هي مدينة ساحل البحر المتوسط ، جنوب شرق الأندلس يرجع تأسيسها للفنقيين عام ١٢٠٠ق.م ، وتشتهر بالأسماك المملحة ، ويوجد بها أنواع كثيرة من الفاكهة ، ولها شهرة واسعة في صناعة الفخار والمصنوعات الجلدية والحريرية . للمزيد انظر المقري : مصدر سابق جـ١، ١٨٦ ، ياقوت الحموي : مصدر سابق جـ١٧ ،ص ٣٦٧ ،القلقشندى : مصدر سابق جـ٥، ص ٢١٨ ،٢١٩ .

[5] دلاية: هي من إحدى القرى التابعة لولاية المرية ، ويوجد بها الحرير والملح والأغنام. للمزيد انظر ابن الخطيب معيار الاختيار ، ص ٩٩ .

الادريسى : مصدر سابق ، ص ٢٠٢ ، الحميري: مصدر سابق ، ص ٣٨ ، المقري : مصدر سابق جـ١، ص١٨٧ ، جـ ٤، ص ٢٠٧ ، محمد احمد أبو الفضل : تاريخ المرية الأندلسية في العصر الاسلامى دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ،١٩٩٦ ؛ ١٧٠ ، أمل ربيع : مصدر سابق، ص ١١٤ ، ريكاردو كوردوبادى دى لالاف الصناعات المتوسطية في القرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية،٢٠٠٧ ، ص ٢٤٦.

الفنون الزخرفية فوجد بمدينة فاس آنية مصنوعة من الخزف استخدمه باعة الحليب يسمى بالمايورقى أو المالقى وكان الأكثر انتشاراً في الاستعمال .[١]

وصدرت الأندلس لأسواق مدينة فاس الأحجار الكريمة المعادن كالياقوت الأحمر والمرجان ، والذهب والفضة والعاج والقصدير ، والزئبق والكبريت الأحمر وأيضا معدن الكحل ، والبلور والزليج والعاج . [٢]

اشتهرت الأندلس بتصدير كميات كبيرة من زيت الزيتون إلى مدينة فاس الذى كان يحمل من مدينة اشبيلية ، وكانت تصدر الاوانى والتحف الزجاجية ، والفخار المذهب. ولكثرة مصانع الطراز باشبيلية وقرطبة ، قاموا بتصدير كميات كبيرة من الأقمشة المقصبة والمصممة لصنع الأرُدية التي تلبس في الاحتفالات بمدينة فاس . [٣]

كانت السفن الأندلسية وخاصة الآتية من اشبيلية تحمل بعض السلع من حبوب وأنواع من الغلات والطعام والفواكه كالخوخ والمشمش، ثم تعود بالتين والعنب والقطن وزيت الزيتون . [٤]

انفردت مدينة شاطبة [٥] وقرطبة بصناعة الورق التى ارتبطت بصناعة تسفير الكتب وتحولت من مجرد كسوة للكتاب إلى زخرفة وتلوين وتهذيب ، فوصل للمدن المغربية وأسواق

---

[١] الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢ ، كولان : الأندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، سنة ١٩٨٠، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، أمل ربيع : مرجع سابق ، ص ١٢١، ١٢٢.

[٢] أمين الطيبى : مرجع سابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

[٣] العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والممالك ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٩٥، ٩٦ ، الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٣٩ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٢٠٨، المقري : مصدر سابق جـ ١ ، ص ١٨٧ ، كولان : مصدر سابق، ص ٩٩ ،١٨١ ، عز الدين موسى مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

[٤] الحميري : مصدر سابق ، ص ١٩ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ص ٩٧ ، .التادلى: التشوف ، ص ١٦٩ ، كارمن تريلوسان خوسية : الزراعة والطعام في القرن الرابع ، ترجمة إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية ، ص ٣٠٦ .عادل سعيد بشتاوى : الأندلسيون المواركة ، القاهرة ،٢٠٠١ ، ص ٧٢ .

[٥] شاطبة : هى من كوره بلنسية بمنطقة شرق الأندلس ، وهى مدينة جليلة حسنة يحيط بها الوادي ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشرق والمغرب للمزيد انظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٩٢، الحميري : الروض المعطار، ص ٣٣٧ ، محمد الفاسى : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البيئة ، الرباط ، العدد٣ ،١٩٦٢ ، ص ٣٤ .

مدينة فاس . [١]

أخذت العلاقات الأندلسية ترتقي بصورة كبيرة فأساطيل المولئ الأندلسية اشبيلية ومالقة والمرية أصبحت تنقل الصناعات المختلفة من الأغطية والمطرزات والسجاد والمجوهرات المرصعة والجلود والورق . [٢]

وكان يصل إلى أسواق مدينة فاس كميات كبيرة من الحرير الخام من مدينة غرناطة التى كانت تنتجه بكثرة .[٣] ومن مدينة مرسية آلات السفر والسكاكين وآلات العروس، ومن المرية زيت الزيتون فكانت مختصة بعصر الزيوت . [٤] وإلى جانب ذلك الأحذية فوجد بمدينة فاس أنواع من الأحذية الأندلسية كالسباط وهو حذاء بدون كعب تبقى معه رقبة القدم مكشوفة . [٥]

كانت أسواق مدينة فاس مليئة بالسلع الأندلسية كالمنسوجات والزيوت ، والأحجار الكريمة الياقوت واللولؤ والعاج والفراء ، والمعادن كالزئبق والقصدير والرخام والخزف ، والعبيد ، والكمون والزعفران والتين الاشبيلى فكان كبير الحجم ولونه أسود داكن . [٦]

كان التجار الأندلسيون يأتون بسلع عديدة من اسواق مدينة فاس كالعبيد الزنوج ، وبعض المنتجات الزراعية مثل الفستق والتوابل ، وأيضا الأقمشة والمصنوعات اليدوية والذهب والفضة والعقاقير والعنبر، والصوف الخام .[٧]

---

[١] الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٩٢، ابن سعيد :المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ص ٤٢٤ ، أمـل ربيـع: مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢.

[٢] ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبـة الحيـاة ، ص ٥٩. إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٨٤ . ف .هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى فـي العـصور الوسطى ، جـ٤، ترجمة احمد رضا محمد ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٢ .

[٣] ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ٢ ، مطبعة الخانجى ، مـصر والمثنـى بغـداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٩٥ المقري: مصدر سابق جـ١، ص ١٨٧.

[٤] دوزى : مرجع سابق ، ص ٦٢٥ ، محمد مقر : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

[٥] أوليفيا : مرجع سابق ، ص ٢٣٣: ٢٧٧ ، عبد الله العروى : مجمل تاريخ المغرب ، جـ٢، المركز الثقـافي العرب ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠، ص ٢٢٦ ، عادل بشتاوى : مرجع سابق ، ص ٧٤ .

[٦] عادل بشتاوى: مرجع سابق ، ص ٧٤ ، أوليفيا : مرجع سابق ، ٢٣٣، ٢٤٣ ، أمين الطيبى : مرجع سابق،ص ١٥٢.

[٧] M.L . Demas Latrie: Trats de Paix et de Commerce,Les Arabs deL' Afrique SePtentrionale,Paris, 1866, P 376

اكتسب البحر المتوسط في القرن الرابع عشر الميلادى ، الثامن الهجرى دفعة حيوية من خلال التجارة مع بلدان الشرق من خلال طرق القوافل التجارية التى تصب فى البحر المتوسط، فالقوافل كانت تصل لمدينة فاس التى كان بها جنسيات كثيرة من جنوبين أو إيطاليين ، وقطالونيين وقشتاليين وبرتغاليين . [١]

وقد وفرت مدينة فاس فنادق خاصة للتجار الأوروبيين وأقاموا بها كافة المرافق الضرورية للإقامة . [٢] وجدت بأسواق مدينة فاس أنواع عديدة من الأقمشة ، منها قماش الكامبرى (Cambrai) وهونسيج الكتان الأبيض الدقيق الناصع ويأتى من منطقةCambrai شمال فرنسا، والأقمشة الكتانية والحريرية والتى كانت تأتى من جنوة إلى أسواق مدينة فاس وجدت القلنسوة الأرجوانية . [٣]

كان لظهور قوة بيزة وجنوة البحرية والاقتصادية في شطري البحر المتوسط أثراً واضحا على سير التجارة الأوربية ، فحمل تجار المدينتين بضائع عديدة من أسواق فاس من ذهب وخيول وزيت الزيتون ، والأقمشة الكتانية ومواد الصباغة كالزعفران واللاك والعطور والمسك والتوابل وخاصة الفلفل ، والتين المجفف واوانى نحاسية وملح النشادر وجلود الماعز .[٤]

سيطر الجنويون والبنادقة والقطالونيون على حركة التجارة بين ثغور البحر المتوسط فكانوا يتقنون جميع الأنشطة التجارية .[٥]

---

[١] فيليوسولا: البحر المتوسط المركز الحيوي للقرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ،٢٠٠٧ ، ص ٤٨:٤٦ .

[2] Dufourcq ; OP , Cit, p. 70.

[٣] الوزان: مصدر سابق جـ١، ص٩٧، مارمول: مصدر سابق جـ٢، ص ١٧٥ ، المقري: مصدر سابق جـ٢ ،ص ٢٢٣ ،أمين الطيبى: جوانب من النشاط الاقتصادي فى المغرب فى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل جنيزة القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، محمد مقر: مرجع سابق ، ص ١٥٧،١٥٦ .
Millas (J.M):Vallicrosa,"ELCultivo Del Algodon en la Espana arabe,Bolet in de la real Academia de la historia 139, 1956, p.p 463 .

[٤] ارشيبالد لويس: القوى البحرية ، ص ١٢٩ ،٣٩١ ، أمين الطيبى ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ ،عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص٢٧٦.

[٥] محمد عبد الله عنان: رواية مصرية عن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس عشر ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٩٩..

اتخذ الجنوبيون أسواق مدينة فاس منفذاً لبيع أقمشة جنوه والجلود والمصنوعات الجلدية والصوف والشب والورق ، وكان تجار مرسليا يصدرون السلاح والزرابى والشمع والمعادن ويعودوا بالفضة والذهب والحبوب الزراعية . [١]

عمل عدد من التجار القطالونين فى تجارة العبيد والتى يحصلون عليها من أسواق فاس.[٢] ومن السلع التي وجدت بأسواق مدينة فاس الشمع والجلد والكمون والسكروالحريرالمصنوع من فرنسا ، ومن إيطاليا ومرسيليا ومالقة الفخار المذهب الفاخر. [٣]

ظل التجار النصارى يحملون مختلف البضائع إلى أسواق مدينة فاس ، مثل الودع ومصنوعات الزجاج والعطور، وخصوصا لبان جاوة والمسك فمدينة البندقية كانت تصنع الأقداح والكؤوس واللولؤ والحلي ومصنوعات من عظام الحيوانات ، وبعض المواد الصباغية الخام وقطع الحديد الممغنط . [٤]

حصل التجار البنادقة على الدينارات الذهبية والنحاسية مما جعلهم يقوموا ببيع المنتجات الواردة من الشرق من بهارات وأحجار الشبة ، فجذبت البضائع الفاسية تجار البلاط الأرغوانى من الجلد المصنع والخام والأصداف ، والحبوب لانخفاض أسعارها . [٥]

---

[١] الإدريسي: مصدر سابق ، ص ١٧٦ ، أمين الطيبى: مرجع سابق ، ص ١٣٩. إبراهيم حركات : مرجع سابق، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

[٢] M.L . Demas Latrie : op, cit, p.116 .

[٣] عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسي ، ص ١٩٢. ريكاردو: مرجع سابق ،ص ٢٤٦ :٢٤٩ .هايد : مرجع سابق ، ص ٢٢٢

Dafourcq: lavia catalane, p.p 68 . M.L. Demas Latrie: op, Cit, P.215.

[٤] عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٨ . مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية، ص ١٦٢ .

[٥] مصطفى نشاط: ملاحظات حول المعاهدات التجارية ، ص ١٦٢.

٦- أسواق فاس وأسواق السودان الغربي

أصبحت تجارة القوافل عبر الصحراء من أهم ما تميزت به التجارة بالمغرب الأقصى خلال العصر المرينى ، وأصبح السودان الغربي [١]مقصدا لهذه التجارة وخاصة مدينة مالى التى أصبحت إمبراطورية كبرى ، بعد ان استطاع سندياتا كاتيا (١٢٣٠-١٢٥٥م/ ٦٣٠-٦٥٥هـ) توحيد السودان الغربى وإقامة إمبراطورية شاسعة ضمت كل الممالك التى قامت على انقاض مملكة غانا عام ١٢٤٠م /٦٤٠هـ ، فأصبحت بمثابة ممرات للقوافل التجارية . [٢]

ساعدت العلاقات التجارية بين فاس والسودان الغربى على نشر الصلات الثقافية فلا يستبعد أن يكون العلماء قد مارسوا التجارة فى بلد الذهب فقد ساهم العلماء بفاس فى العلاقات التجارية . [٣]

كانت القافلة التجارية المغربية والتى تخرج من مدينة فاس ، تسلك الطريق المسمى بطريق السلطان وهو طريق فاس سجلماسة عبرصفرو ، وكانت تصلها بعد عشرة أيام وبوصول القوافل إلى سجلماسة تعبر إلى تغازة وولاتة ومنها إلى مدن السودان الغربى ويعتبر هذا الطريق من أهم الطرق التجارية المغربية حيث ربط بين طرق التجارة الداخلية والخارجية للمغرب . [٤]

---

[١] السودان الغربي: أطلق الجغرافيون والمؤرخون والرحالة العرب في العصور الوسطى على المناطق الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى وشمال خط الاستواء ، والممتدة من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا اسم السودان ، وعرفوا السودان الغربي بأنه المناطق الواقعة بين حوض نهرى السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض والساحل. للمزيد انظر ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ١٢، ص ٤١٧ ، بوفيل تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، نقله للعربية أبو لقمة وآخرون ، ط٢ ، بنغازي ، ١٩٨٨، ص٢٩ ، أمين توفيق الطيبى : الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ١٩٨٠ ص ٢٥٩ . الهادي المبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٩ ، ص ١٧ .

[٢] العمري: مصدر سابق ، ص ٦٠ ، قاسم الزهيرى: المماليك الإسلامية القديمة في إفريقيا مملكة مالي ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثامن والتاسع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٦٦. فيج جى دى : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتعليق السيد يوسف نصر ، دار المعارف ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

[٣] عبد العزيز العلوي: فاس والتجارة ، ص ٧٨ .

[٤] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص٣٠٥ ، عبد العزيز العلوي: علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية ، ص ٢٦٤ لوطورنو روجية : فاس قبل الحماية ، ص ٤١٨ .

Mauny,(R):TabLeau ge'ograPhique de L'OuesT aFricain ,d,apre`s Les Sources `ecrites,laTradition `arch`eoloGie,DaKar,IFAN,1961,P.428-437 .

فتحكمت مدينة فاس فى طريقيين تجاريين دوليين وكان أهمهم الطريق الذى يتوغل فى الصحراء جنوبا الى السودان الغربى ، فالتجارة الصحراوية ارتبطت بتجمعات حضرية بفاس . [١]

يتضح لنا من خلال رحلة ابن بطوطة للسودان الغربى ان القافلة التجارية المتجهة إلى السودان الغربي تعتمد في تحراتها على (الكشاف) والدليل ، فالكشاف يقوم بإرسال الرسل للمدن التى يمروا بها لكى يقوموا باستقبالهم وتجهيز الماء والطعام ويحصل الكشاف على مائة مثقال من الذهب .[٢] أما الدليل فكان عارف بأسرار المسالك الصحراوية وذلك لكثرة تردده عليها . [٣]

ويوضح لنا ابن بطوطة أن الدليل الذي كان برحلته لمالى كان أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق . [٤] احتفظت السلطة المرينية بأسرار التجارة القوافلية واعتبرته سراً من أسرارها . [٥]

واجهت القوافل التجارية الكثير من الصعوبات والمشاكل ومنها قلة المياة ووهج الحر والرياح المفاجئة إلى جانب قاطعوا الطرق . [٦] ورغم ذلك النشاط التجارى بين فاس والسودان الغربى كان نشيطا ومستمرا .

كانت للقافلة التجارية مواعيد محددة من السنة حيث يكون الجو ملائما لهذه الرحلات وغالبا تكون فى فصل الخريف . [٧]

---

[١] عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ، ص ٨١ .

[٢] ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٣-٧٧٥ ، ماجدة كريمي: العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينين دعوة الحق العدد٢٦٩، ابريل مايو١٩٨٨، ص ٢٥٢.حسن حافظي علوي: التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي فى العصر الوسيط ، مجلة المناهل ، العدد٣٣، منشورات المملكة المغربية ، ص ٢٥١ .

[٣] ابن خلدون: مصدر سابق جـ٧ ، ص ٧٧ ، Mauny: TabLeau ge'ograPhique, op,p.401

[٤] ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٧٥.

[٥] مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ١٠٩.

[٦] ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١١٣ ، أبو الفداء: مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

[٧] ابن بطوطة: نفسه ص٧٧٤ ، حسن حفظى علوي: مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

ويرى بعض المستشرقين ان القافلة كانت تنطلق فى فترة الشتاء .[1] ويذكر لنا الـــوزان أن الطريق من فاس لتنبكت [2] كان يوجد به عدد من الآبار ومكسوة بجلود الإبل وهذا الطريـــق للسفر شتاءً فقط حيث يكثر به الرياح التى كانت تحمل معها الأتربة فتعمل على تغطية الابار .[3]

لقد كانت القوافل تتجمع بمدينة فاس قبل أن تتحرك إلى أي مكان بالمغرب الأقصى متجهة إلى السودان الغربي ، وكانوا يفضلوا طريق فاس سجلماسة سواء للتجارة أو لموسم الحج .[4]

تميزت مالي بدور تجارى مهم حيث أنها كانت بمثابة سوق كبيريستقبل الذهب من مختلف مناجمه واستقبال القوافل التجارية الاتية من شمال المغرب.[5]

سيطرت مدينة فاس على التجارة الدولية التى تمتد إلى جنوبي الصحراء ، بحكم أنها قاعدة وحاضرة للمغرب الأقصى في العصر المرينى .[6]

و سيطرت مالي على تجارة السودان الغربى حيث يصفها كعت " كانت مملكة مالي غنية جداً ولم يكن هناك أجمل منها فى العالم بأسره سوى الشام ".[7]

ومن أهم ما يميز العلاقات بين فاس وإمبراطورية مالي هو اهتمام الحكام بطرق التجارة وتأمين المسالك ، وإمداد القوافل بالمياه عن طريق حفر الآبار على طول الطريق، و فى سبيل ذلك يتقاضوا ضريبة ربع دينار على كل حمولة للجمل الواحد.[8]

---

(1) Mauny : op ,cit 401.

(2) تنبكت: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، منحنى نهر النيجر ويكثر بها التجار والحوانيت مما جعلها أفضل المراكز التجارية بالسودان الغربي. للمزيد انظر الوزان: مصدر سابق، جـ٢،ص١٦٥، مارمول: مـــصدر سابق، جـ٣، ص٢٠١.

(3) الوزان: مصدر سابق ، جـ١، ص ٧٥ ،٧٦ .

4 Brignon (J):histore du maroc , ca sa blanca, 1974,p,185.

(5) ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ١٩٥.

(6) الحموي: معجم البلدان ، جـــ٤ ، ص ٢٣٠، الحميري: مصدر سابق ، ص ٤٣٤ .

(7) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، نشر .هوادس ، ودولافوس ، باريس ، ١٩١٣، ص ٦٧.

(8) الوزان : مصدر سابق جـــ١، ص ٧٦ ، جـــ٢ ،ص ١١٢ .

ارتبطت أسواق مدينة فاس بأسواق السودان الغربي ارتباطا وثيقا ، وذلك لوجود علاقات الود والمجاملة منذ أيام السلطان أبى سعيد عثمان (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) مع السلطان منسا موسى * . [١]

توافدت السفارات والهدايا بين البلاط المرينى وبين بلاط نيانى فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى (٧٣١-٧٥٢هـ / ١٣٣١-١٣٥١م) ومنسا موسى ، و ذلك بمناسبة فتح أبى الحسن المرينى لمدينة تلمسان .[٢] رأس ابن بطوطة الوفد المرسل من السلطان أبى عنان المرينى (٧٤٩ -٧٥٩هـ /١٣٤٨-١٣٥٨م) إلى إمبراطورية مالى فى عهد السلطان منسا سليمان . [٣] قام السلطان منسا جاطة بارسال هدية فى عام ٧٦٢هـ للسلطان أبى سالم المرينى (٧٦٠-٧٦٢هـ / ١٣٥٩-١٣٦١م) ومن ضمنها زرافة جميلة . [٤] وفى عهد مارى جاطة سافر إلى مالى آلاف التجار من المغرب الأقصى عن طريق الصحراء . [٥]

كانت مدينة فاس دائما فى حاجة إلى كميات كبيرة من السلع التجارية من ذهب لسك العملات ، ورقيق للبلاط السلطانى وعاج وريش النعام ، فالمدينة كانت تحتوى على عدد كبير من

---

*منسا موسى :هو موسى بن أبى بكر بن سالم التكرورى ،ويلقب بالأشراف وكلمة منسا معناها الملك أو السلطان، وكان من أعظم ملوك السودان الغربي وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكرا وأعظمهم مالا واقهرهم للأعداء وأقدرهم على إفاضة النعماء . للمزيد انظر العمري : مسالك الأبصار ،جـ٢، ص ٤٩٤، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٩٣.

[١] السلاوى: مصدر سابق ، جـ ٣، ص ١٥٢ ، إبراهيم حركات : سياسة المغرب الخارجية فى عهد بني مرين، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة السابعة ، ابريل ١٩٦٤ / ذو الحجة ١٣٨٣هـ ، ص ٤٧ .

[٢] ابن خلدون: مصدر سابق جـ٧، ص٢٥٤، ٢٥٥ ، السلاوى : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١٥١ . إبراهيم حركات : سياسة المغرب ، ص ٤٧ ، محمد عبد العزيز الدباغ :بنو مرين من خلال رحلة ابن بطوطة ، دعوة الحق ، العدد السابع ، السنة الخامسة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٩. قاسم الزهيرى: مرجع سابق ، ص ٦٧ .

[٣] بوفيل : مرجع سابق ، ص١٦٦ .

[٤] ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٧ ،ص ٢٥٤ .، مصطفى نشاط : مرجع سابق ، ص ٨٣ .

[٥] عثمان برايما بارى : جذور الحضارة الإسلامية فى الغرب الافريقى ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤١ .

السكان فوصل عددهم مائة الف نسمة فى الفترة ما بين القرنين العاشر والسادس عشر الميلادى / الرابع والعاشر الهجري .[١]

ومن السلع الهامة التى كانت تأتى إلى أسواق مدينة فاس ، التبر والمسك والعنبر والجلد والعاج والجوز والشب والأسواط التي تسمى بالسراقيات ، من خلال القوافل التجارية المارة بسجلماسة أو عن طريق القوافل الآتية من مدينة ونقارة .[٢]

كان عدد كبير من تجار فاس يترددون على مدينة ولاته والتى كانت أكبر المدن التجارية فى السودان الغربى خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلادى / السابع والثامن عشر الهجرى ، حيث تمتعت بمكانة تجارية مرموقة .[٣]

ارتبط النشاط التجاري الصحراوي بالذهب والملح والرقيق والعاج ، وجلد اللمط فهو من أفضل أنواع الجلود والحناء ، والذهب الذى كانت مدينة فاس تستخدمه فى صنع بعض المنسوجات المطعمة به ، والأساور والأقراط التي يتم تصديرها مرة أخرى للسودان الغربي.[٤]

---

[١] الادريسى: مصدر سابق،ص٢٤٦،التادلى: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ روجيه لوطورنو:فاس قبل الحماية ، ص ٣٨٦ . عبد العزيز العلوي: مرجع سابق ، ص ٧٩ ، Brignon (J):op. cit 185.

[٢] البكري: مصدر سابق ، ص١٥٩ ،الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٥ ، الاستبصار: ص ٢١٤ ، القزوينى : مصدر سابق ، ص ٢٥، ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢ ، ص ١٩٢ ، عبد العزيز العلـوي : فـاس والتجـارة الصحراوية ص ٨٩ ، Mauny: op . cit ,376

ونقارة : فى ارض السودان قريبة من غانة ، وهى جزيرة يحيط بها النيل من كل جهة ويتصرفون فى التجـارات والبضائع ، يزرعون الذرة وشجر التوت والتين بكثرة للمزيد انظر ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١١ .

[٣]السعدي: تاريخ السودان ، نشر هوداس وبنوا، باريس ١٩٨١ ،ص ٢١ ،ماجدة كريمي: مرجع سابق، ص ١٩٢

[٤] القزوينى : مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ابن سعيد : بسط الارض ، ص ٤٧ ، العمري : مـصدر سـابق ، ص ٧٤، ٢٠٢ القلقشندى: مصدر سابق جـ٥ ص٢٩ ، التادلى : مصدر سابق ،ص ٢٨٢ ، الوزان : مصدر سـابق جـ ٢، ص ٢٦٣ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٧٦، ١٧٧ ، المقري : مصدر سـابق ، ص ٢٠٥ ، احمـد الشكرى: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية منشورات معهد الدراسـات الإفريقيـة ، ١٩٩٧، ص ٢٨ ، ماجدة كريمي: مرجع سابق ، ص ٢٥٢-٢٥٤ . .

كانت مدينة جاو من أهم المراكز الخاصة بتجارة الملح والعاج المستخدم فى صناعة الآوانى ومنابر المساجد وتزين الخيول ، فكانت سوقا رائجا لتجارة الخيول ، وكانت مدينة جنى[١] ملتقى أرباب الملح من ونقارة والذهب من معدن بيتو ، ويرجع ذلك بفضل وقوعها على جزيرة فتوافر بها الأمن والهدوء اللازمين للنشاط التجارى وساعد على ذلك أيضا اهتمام حكام مالى بها ، فأصبحت من أكبر الأسواق التجارية بالعالم الاسلامى لاستقبال البضائع المغربية القادمة عبر الصحراء ، وبوجود القرصنة تحول الطريق إلى مدينة تنبكت . [٢]

اشتهرت مدينة تكدا بالنحاس الذى يستخرج من صحراء أكاديس ، وكان هذا المعدن يحظى باهتمام تجار مدينة فاس لسد حاجاتها منه لاستخدامه فى الصناعات النحاسية.[٣]

ومن السلع الهامة بالسودان الغربى العبيد فكان تجار مدينة فاس يجلبون أعدادا كبيرة وكانت مدينة تنبكت أهم مراكز لبيع العبيد ، فوجد بفاس سوق الخضر لبيع وشراء العبيد ومنازل متخصصة لبيع العبيد فاستخدم الجوارى وفى القصور المرينية وعملوا فى الطبخ ، والبعض الاخر انجبوا من السلاطين المرينيين أبناء ورثوا الحكم كأبي الحسن المرينى.[٤]

---

[١] جني: أسست مدينة جني حوالي ٨٠٠ ميلاديا ، تقع على خط عرض ٣٥-٣١ شمالا وخط طول ٩ شرقي جرينتش، للمزيد انظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جني ، مج ٥ ، ص ١٤٥ .

[٢] الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٦٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١ ، محمود كعت : مصدر سابق، ص BoviLL: The golden trade of The moors p.102 ؛ Mauny: op ,cit.p.382.١٧٥ DjibriL Tamsir Niane:Le Soudon Occidental Au temps des grands Empires , XI`e – XVIe si`ecle . paris , 1965 .p.p 64,65.

[٣] ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٧٩٩ ، زاهر رياض : الممالك الإسلامية فى غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٤ ، محمد الغربي : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، نشأته واثاره ، إشراف نقولا زيادة ، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر ، الكويت ، الجزء الأول ، ص ٤٨ ، فيج جى دى :مرجع سابق ، ص ٤٠ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق،ص٢٥٣،١٩٦ . بوفيل : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .عبد الهادي لتازى:التاريخ الدبلوماسى ، جـ ٧ ، ص ٥٢ .

[٤] ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٧٦ ، ابن خلدون :مصدر سابق جـ٧ ص ٢٠٥ ، الوزان: مصدر سابق، ص ٢٨٨، مارمول : مصدر سابق ص ١٣٥، السلاوى: مصدر سابق جـ٣ ، ص ٥٥، ٥٦ ، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

فكانت القافلة التجارية التى عاد فيها ابن بطوطة تضم ستمائة امرأة من الرقيق ، من مدينة تكدا وتنبكت التى اشتهرا بأهم مراكز العبيد التى كان يصّل أعداد كبيرة منه لمدينة فاس.[١]

فوجد بمدينة فاس كمية كبيرة من العبيد مابين خمسة عشر وعشرين عبدا مقابل فرس واحد ، وإن دل ذلك فلا يدل إلا على الغلاء الباهظ الذى انتهت اليه هذه السلعة ، وكان السبب المباشر لغلائها هو انعدامها بالسودان الغربى . [٢]

استخدم سلاطين بنو مرين الخصيان فى قصورهم بمدينة فاس الجديد وأصبحوا حرسا خاصا لهم ، واعتقوا البعض الآخر مثل السعود بن حرباش الهاشمى وعينه ابوبكر بن عبدالحق (٦٤٦-٦٥٦هـ /١٢٤٦-١٢٥٦م) واليا على مدينة فاس ٦٤٩هـ/١٢٤٩م . [٣]

استطاع ملوك مالي تحقيق أرباح وفيرة من خلال الرسوم التي فرضوها على العمليات التجارية الآتية من المغرب ومنها المنسوجات الحريرية المصبوغة ، والخيول التي كانت غالية الثمن .[٤]

ومن السلع التي وصلت من مدينة فاس إلى السودان الغربي ، خشب الصنوبر وخشب الأرز وخرز الزجاج من أساور وخواتيم ، والنحاس المسبوك والملون والصناعات النحاسية ، والآلات الحديدية والأحجار الكريمة والودع والملح والبخور والأصداف والسلع العطرية والقرنفل وتاسرغيت ، والحناء والتالكوت . [٥]

---

[١] ابن بطوطة: نفس الصفحة ، بوفيل: مرجع سابق ، ص ١٧٢ ، زاهر رياض: مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

[٢] الوزان: مصدر سابق ، ص ١٧٠ ، ماجدة كريمى: مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

[٣] ابن خلدون: نفس المصدر والجزء ،ص ١٩٩ ، السلاوى: مصدر سابق جـ٣، ص ٨٥ ، الوزان: المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، مارمول: مصدر سابق ص ١٦٥-١٧٣ .

[٤] الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٧ ، الاستبصار : مصدر سابق ، ص ٢٢٠ ، الوزان :مصدر سابق جـ٢،ص ١٦٩، ١٧٧ ، مارمول : مصدر سابق جـ ٣ ، ص ٥٤١ ،

[٥] الإدريسي: نفسه ص ٣٧ ، ٤٢ ، القزوينى: مصدر سابق ، ص١٩ ، الاستبصار: نفس المصدر ،ص ٢٢٢، أبو الفدا: المختصر ، ص ٩٦ ، التادلى: مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٧٧٩ .

تميزت مدينة فاس بالمنسوجات وصناعة النسيج والتى كانت تمد بيهم التجارة الصحراوية ، فكانت من أهم المدن المغربية فى صناعة المنسوجات سواء المنسوجات المطرزة و الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية . [١]

ويوضح لنا الوزان أن المنسوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من مدينة فاس توجد بكثرة فى مدينة تنبكت . [٢]

لاقت الصناعات الحرفية رواجا كبير بالسودان الغربى ، حيث كان فى حاجة شديدة اليها ومنها الأواني والحلي النحاسية والأسلحة . [٣] والمصنوعات الحديدية كالسكاكين وركاب الخيول والفخار الفاسى والأدوات والحلي الزجاجية . [٤]

وكانت للمنتجات الزراعية سوقا رائجا بالسودان الغربى حيث كانت القوافل التجارية تحمل التين المجفف والزبيب، والحبوب من قمح وشعير والذرة والنباتات المعطرة للمشروبات. [٥]

وكان لليهود دور كبير فى التجارة مع السودان الغربى وكان لهم بمدينة فاس أسواق ومصانع ومكانة تجارية فى العهد المرينى ، حيث خصص لهم الأمير أبو يوسف يعقوب حي الملاح بالقرب من القصبة التى بها حاكم مدينة فاس .[٦]عمل اليهود على تنمية التجارة

---

[١] الحميري : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، عبد العزيز العلوي : صناعة النسيج ، ص ٥٣، ٥٤ ، ٦٥ ، فاس والتجارة ، ص ٢٦٥ ، Brignon (J):op ,cit .p 155 .

[٢] الوزان: مصدر سابق، جـ٢، ص ١٦٥ .

[٣] الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٢٣٢ ، ابن أبى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ ، الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ، عبد العزيز العلوي : فاس والتجارة ص ٨٦ ، إبراهيم حركات : طبيعة العلاقات ، ص ١٨٩ .

[٤] الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٦ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص ٦٨٠ Mauny : op .cit , p .374.

[٥] بوفيل : مرجع سابق،ص ١٣٤، ماجدة كريمي : مرجع سابق ، ص ٢٣٥.محمد الطويل : الفلاحة ، ص ١٧٦.

6- Corcs Davis :jews of morocco under the marinade , The Jewish quarterly Review, IV .55, 1964 -1965 , pp 54:65 .

الصحراوية بطريق مباشر كتجار، وبطريقة غير مباشرة بالعمل كحرفين في مناجم النحاس والفضة. [١]

وبجانب اليهود وجد وكلاء تجارين من جنوة والبندقية للحصول على سلع السودان الغربى الآتية إلى أسواق مدينة فاس . [٢]

عمل عدد كبير من اليهود بالتجارة بمدينة فاس تحت حكم المرينيين فكانوا محتكرين صناعة الذهب والصياغة ، فكانوا يصدروا العسل والشمع والصوف والجلود ، وخير دليل على قيامهم بالعمل فى التجارة الصحراوية هى قيام الجالية اليهودية بالسودان الغربى برسم الخرائط التى وضحت معالم وثروات السودان الغربى ، منهم أبراهام كركس وانجلنودوليس . [٣]

وبذلك قامت أسواق مدينة فاس بدور كبير فى عملية التبادل التجارى بين أسواق المغرب كافة والسودان الغربى ، والأندلس ومصر والحجاز حيث ربطت العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين بنى مرين وسائر الدول الأخرى بالعلاقات التجارية .

---

[١] Rosinberger : Les vieiLLes exploitations minieres ler paoTie, No17,p,75. Brignon (J):op ,cit .p 155 .

[٢] ابن الحكيم : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ جـ٢ ، ص ٢٤٦ .

[٣] زاهر رياض : مرجع سابق ، ص١٣٨.

obeikandl.com